﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه: 129]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

وجـوب حلول العـذاب لـولا رحـمـة الـلـه الـسّـابـغـة، وحكمته البالغة

لمّا هدّدَتهُمُ الآياتُ السّابقةُ بإهلاك الماضين مِنَ الأمم، ذُكِرَ في هذه الآية سببُ تأخير عذابهم وهلاكهم، فلو أرادَ اللّه لَعَجَّلَ لهم العذابَ، لولا كلمتُهُ العظيمةُ النّافِذةُ الّتي سبقَت في الأزل؛ بأنّه لا يَستأصِلُ الّذين كذّبوا رسولَ اللّه، بل يَمُدُّ لهم؛ ليُخرِجَ من أصلاب بعضِهم مَن يَعبدُ اللّهَ ﷻ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كَلِمَةٌ﴾: اللَّفظة الواحِدَة، وعِند النُّحاة: اللَّفظَةُ الدّالَّة على معنًى مُفرَد بالوَضعِ سواءً أكانَت حرفًا واحِدًا أم أكثر، وتُطلَقُ الكلمةُ على الجُملة، أو العبارة التّامَّة المعنى، أو الكلام المُؤلَّف المُطوَّل، قصيدةً كانت أو خطبَةً أو مقالَةً أو رسالةً، وكلمةُ اللّه: حُكمُه أو إرادتُه، وإذا ما أُطلِقَتِ الكلمةُ مُفرَدةً فإنَّ المَقصِدَ مِنها أنّها تَحمِلُ رسالةً مُعَيَّنَةً: قَرارًا أو مَوقِفًا[2].

2) ﴿سَبَقَتْ﴾: مَعنى (السَّبْق) في اللّغة العربيّة هو التَّقدُّمُ[3]، سواء أكان التَّقدُّمُ في المكان فهو المُتقدِّم، أو في الزّمان فهو المُضيّ[4]، وقد يكون السَّبْقُ بالشّرف والسَّبْقُ بالنُّفُوذ، والمعنى الأخير هو المقصود من المفردة في الآية؛ أي: تَقَدَّمَت ومَضَت ونَفَذَتْ[5].

3) ﴿لِزَامًا﴾: (لزم) أصلٌ يدُلُّ على مُصاحَبة الشَّيء للشَّيء

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 5/ 56.
(2) الرّاغب، المفردات: (كلم)، ونخبة من اللّغويّين، المعجم الوسيط: (كلمة).
(3) الكفويّ، الكلّيّات: (سبق).
(4) مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (سبق).
(5) الرّاغب، المفردات: (سبق).

دائمًا[1]، فلا يَنفَكُّ عنه[2]، فهو ثابتٌ لا مَفَرَّ منه، وضروريٌّ لا فِراقَ له[3].

والإلزام ضربان: إلزامٌ بالتّسخير مِنَ الله تعالى أو مِنَ الإنسان، وإلزامٌ بالحُكم والأمر، نحو قوله: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود: 28]، وقوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: 26][4]، ومعنى اللازم في الآية: ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾؛ أي: لَلَزِم هؤلاءِ الكفّار الهلاكُ كما لَزِمَ مَن سَبَقَهُم[5]؛ لِتَرَتُّبِ الهلاكِ على الإفساد والكفر.

4) ﴿وَأَجَلٌ﴾: الأجَل هو المُدّة المُحَدَّدَة لِنهاية شيءٍ[6]، ويُقالُ لِلمُدّة المُحدَّدة لِحياة الإنسان: الأجَل، فيُقال: دنا أجَلُه؛ أي: مَوتُه، وأصلُه: استيفاءُ الأجَل؛ أي: مُدّته[7]، والآجِلُ هو المُتأخِّرُ إلى حَدٍّ مُعَيَّنٍ، ضدُّ العاجِل[8]، والأجَل في الآية: مَوعِدٌ مُحَدَّدٌ لِهلاك الأقوام.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُتوقَّعُ من أمثال هؤلاء المشركين المُكذِّبين للنّبيِّ ﷺ هلاكٌ تامٌّ، وإفناءٌ شاملٌ، لولا أنّ رحمة الله سبقَت غضبَه

تُبيِّن هذه الآيةُ أنّ العاقِلَ صاحبُ العقل السّليم يَتوقَّعُ أنْ يَحدُثَ لَكلّ مُكَذِّبٍ بالرّسُل ما حدث لهؤلاء الأقوام المُكذِّبين، لولا أنّ اللّهَ حَكَمَ ألّا يُهلِكَ آخِرَ الأمَم بَغتةً؛ إكرامًا لنبيّه الكريم، لحِكَمٍ عظيمةٍ، منها أنّه يُخرِجُ من أصلاب الكفّار مَن يَعبدُ الله تعالى، وقد حدث ذلك، فخَرَجَ من أصلابهم خالدُ بن الوليد، وعِكرِمةُ بن أبي جهل، وقد جاهدا في سبيل الله، وحاربا المُرتَدّين، ومنها عدم تبديل كلماته سبحانه بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لزم).
(2) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (لزم).
(3) النّزهيّ، الفروق اللّغويّة في الألفاظ القرآنيّة، ص: 108، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (لزم).
(4) الرّاغب، المفردات: (لزم).
(5) الأنصاريّ، فتح الرّحمن: 1/ 370.
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (أجَل).
(7) الرّاغب، المفردات: (أجَل).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (أجَل).

مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: 33]، وأنّ لكلٍّ أجلَه المُعيَّنَ لا يَحيدُ عنه! وإلّا فالهلاكُ حَقيقٌ بهؤلاء كما لَزِمَ مَن سَبَقَهُم.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في قوله ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾:

بيان سبب تأخير العذاب عن الكافرين

تدُلُّ الواو على الاستئناف ببيان حِكمة عدم وقوع الهلاك[1]؛ دفعًا لغرورهم واستعجالهم لذلك الهلاك، فهي "في معنى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سبأ: 29 - 30][2].

ويجوز أن تكون عاطفةً لجملة ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ على جملة ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ باعتبار ما فيها مِنَ التّحذير والتّهديد والعِبرة بالقرون الماضية، وبأنّهم جديرون أن يَحِلَّ بهم مِثلُ ما حلَّ بأولئك[3].

معنى ﴿وَلَوْلَا﴾:

امتناع هلاك الكفّار لسبق كلمة الله

استعملَتِ الآيةُ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ حرفَ (لولا)، وهو حرف امتناع لوجود، والمُمتَنِعُ هنا أن يكون العذابُ مُلازِمًا للجريمة؛ أي: مُقترِنًا بها في الوقوع، كما كان بالنّسبة إلى الأمم السّابقة، بسبب الكفر والعمى عنِ الحقِّ، والموجود هنا هو كلمة اللّه الماضية[4].

بلاغة التّعبير بالجملة الشّرطيّة:

إظهار التّلازُم بين الموجود والمُمتَنِع

وفي التّعبير بالجملة الشّرطيّة ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ وجوه مِنَ البلاغة؛ إذ أظهرَت مدى اللّزوم بين الموجودِ والمُمتَنِع، فالهلاكُ لازمٌ وواقِعٌ لا مَحالةَ، وهو نازِلٌ بالكفّار لا مردَّ له من قِبَلهم أو من قِبَل أحدٍ آخرَ، إلّا أنّ اللّهَ منع ذلك بـ ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ و﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾.

---

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 49.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 365، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 335.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 335.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4808.

كما تُظهِرُ جملةُ الشّرط قوّةَ المانع وغلبتَه على وجود الهلاك، فلن يقعَ الهلاكُ مهما كان، سواء طالبَ الكفّار بتعجيله أم دعا المُرسَلون بتحقُّقه دون أن يريدَ اللّهُ ذلك.

دلالة التّعبير بـ﴿كَلِمَةٌ﴾:

وَعدٌ مِنَ العزيز الرّحيم تَنطِقُ به كلمتُهُ

في التّعبير بقوله تعالى: ﴿كَلِمَةُ﴾ بيانُ عظم المَقام، وصدق المَقال، ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ﴾ [التّوبة: 40]، إذ هو قضاء اللّه، وأمره، وحكمه الّذي تكلَّمَ به، لا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّبَ لحكمه، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النّساء: 122]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النّساء: 87]، وفيه دلالة على علم اللّه بما سيكون، كأنّه حُكمٌ خاصٌّ وقرارٌ بإيقاف مَفعول سُنَّةٍ ماضيةٍ مع الأقوام السّابقين[1]، ووَعدٌ من ربّ العالَمين جاء في صيغة كَلِمَةٍ مُعبِّرَةٍ[2] عمّا تمَّ به قضاء اللّه وقدره.

نكتة تنكير ﴿كَلِمَةٌ﴾:

عَظمةُ الكلمة في مصدرها، وفي نفاذها ومُضيّها

جاءَ التّعبيرُ عنِ امتناع الهلاك بغتةً بـ﴿كَلِمَةٌ﴾ مُنَكّرَة، والتّنكيرُ للتّعظيم، ونكتة هذا التّعظيم تهويل هذه الكلمة الّتي تُوقِفُ سُنّةً ماضيةً، فهي كلمة عظيمة ماضية نافِذة، حَسُنَ تنكيرُها لعظمتها[3].

نكتة التّعبير بـ﴿سَبَقَتْ﴾ مادّةً وصيغةً:

إنّ رحمتي سبقت غضبي

عبّرَتِ الآيةُ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بلفظ ﴿سَبَقَتْ﴾، وفي التّعبير به نكت عديدة، فمِن حيث مادّةُ ﴿سَبَقَتْ﴾ فإنّها تدُلُّ على أنّ الكلمة سابَقَتِ الهلاكَ فسَبَقَتْه، وهو معنىً بديعٌ تُشعِّهُ ﴿سَبَقَتْ﴾ في هذا السّياق.

ومِن حيث صيغةُ ﴿سَبَقَتْ﴾ فإنّها جاءت بصيغة فعل ماضٍ؛ دلالةً على ما تمّ به قضاء اللّه وتقديره في تأخير العذاب إلى يوم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 336.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 96.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 365.

الحساب والبعث؛ فإذا كانت سنّةُ الإهلاك ثابتةً، فكأنّ التّعبيرَ بقوله: ﴿سَبَقَتْ﴾ يُصوِّرُ حالةَ الفضل الّتي تفضَّلَ اللّه بها على هذه الأمّة بعد أنْ ثَبُتَ الهلاك أزلًا، إذ سبقَتِ الكلمةُ الّتي تحملُ تأخيرَ العقاب، ففيه من بلاغة التّصوير ما فيه.

نكتة تقديم الفعل ﴿سَبَقَتْ﴾:

تصوير السّبق بكلّ صوره

تقدَّمَ الفعلُ ﴿سَبَقَتْ﴾ في الآية ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ على الجارِّ والمجرور ﴿مِن رَّبِّكَ﴾، مع أنّهما مُتعلِّقان بـ ﴿كَلِمَةٌ﴾، ونكتة ذلك هو تصوير السّبق بكلِّ صوره، فكان السّبقُ بالزّمان، وكان السّبق في منافسة الهلاك، وكان السّبقُ في ذكرها قبل ذكر صاحبها.

وعلى رأي مَن عَلَّقَ الجارَّ والمجرور بـ﴿سَبَقَتْ﴾، فلا تقديمَ حينئذٍ.

دلالة ﴿مِن﴾ في قوله ﴿مِن رَّبِّكَ﴾:

قَصْرُ الفضل وحصره على الرّبِّ ﷻ

تعلَّقَ الجارُّ والمجرور ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ بـ﴿سَبَقَتْ﴾ أو بـ﴿كَلِمَةٌ﴾ في الآية الكريمة، مع دلالة ﴿مِن﴾ على الابتداء؛ لبيان مصدر السّبق أو مصدر الكلمة، وهو الرّبّ جلّ في علاه.

ففي هذا الأسلوب دلالةٌ على تأكيد حصر مصدر الكلمة السّابقة في جهة مَن له الخَلق والأمر ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: 54]، ممّا جعل للكلمة عظمةً ولِوَقعها أثرًا.

فائدة التّعبير بلفظ الرّبوبيّة وإضافته إلى ضميره:

العناية الرّبّانيّة منعَتِ الهلاكَ تشريفًا لنبوّته ﷺ

عبّرَتِ الآيةُ الكريمةُ عنِ الكلمة الماضية بأنّها ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ بلفظ الرّبوبيّة الّذي يدُلُّ على الرّعاية والعناية؛ فالّذي يرعاك هو مَن أبعَدَ الهلاك بغتةً عن أمّتك، والّذي يتولّاك هو الّذي وفَّقَ أتباعَك فقاموا بنشر الحقِّ، حتّى بَطَلَتْ أسباب الهلاك العامّة[1].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 365.

وإضافة الرّبِّ إلى ضمير المصطفى ﷺ يشير بأنّ امتناع هلاك أمّة محمّد ﷺ، إنّما هو تشريفٌ له ﷺ[1]؛ كما يُنبِئ عنه قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33] الآية.

دلالة حذف اسم (كان):

هـــول تـــصـــوُّرِ عـــذاب الـلـه الـلّازم لِمَن عاند وكفر

جاءَ التّعبيرُ بجملة ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ مع حذف اسم كان، وتقديره: لَكانَ مثلَ ما نزل بعادٍ وثمودَ والأمم الكافرةِ قبل ذلك لازمًا لهؤلاء الكفرة، وهذا التّقديرُ أولى من تقدير الهلاك؛ لأنّ المُتبادَرَ من سياق الآيات إهلاكُ الأمم الماضية فيحتاج إلى تقدير المثل، والغرض مِن حذفه هنا هو أن يصدُقَ اسم (كان) على كلِّ ما هو لازمٌ لهلاك كفّار قريش، كما لَزِمَ الأقوامَ السّابقةَ، فتذهب النّفسُ في تقديره كلَّ مَذهَبٍ.

نكتة التّعبير بـ ﴿لِزَامًا﴾ مادّةً وصيغةً:

الـتّرهـيـب مِـن حـلـول الـهـلاك، والـتّرغـيـب في الاتّباع

آثر القرآنُ الكريمُ اختيارَ كلمة ﴿لِزَامًا﴾؛ لأنّها تحملُ معنى المُلازَمة، فلا تَنفَكُّ ولا تَتخلَفُ[2]، وهو ما يُشعِر بأنّ الهلاك آتٍ لا مَحالةَ؛ فليخشَ الكفّارُ ذلك، ولكنّ الكلمة الرّبّانيّة السابقة أقوى نفوذًا، فأبطلَتِ المُلازَمةَ؛ مِمّا يدعو إلى الشّعور بالرّحمة، وأنّ المَقصِدَ مِنَ التّرهيب هو اللّجوءُ للإيمان، وأنّ الله لا يَقصِدُ إلى إهلاك الأمم بل صلاحها.

وأمّا عن هيئة الكلمة فقد جاءت كلمة ﴿لِزَامًا﴾ بصيغة فِعالٍ بمعنى مُفعِلٍ؛ أي: مُلزِمٌ؛ كأنّه اسمُ آلة سُمّي به اللّازم لِفَرطِ لُزومِهِ، كقولهم: لِزازُ خَصمٍ، ويجوز أن يكون مصدرًا من (لازَمَ) وُصِفَ به؛ ليدُلَّ هنا على المبالغة؛ فهي مُلازَمَةٌ أيَّ مُلازَمَةٍ، كأنّ الهلاك لِفَرْط لزومه صار آلةً للّزوم[3].

---

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 49.

(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4809.

(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 96، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 452، وأبو حيّان، البحر المحيط: 15/ 164.

دلالة التّعبير بقوله: ﴿وَأَجَلٌ﴾ دون غيره:

هـلاك الكـفّار آتٍ حين أجلِهِ، عاجلًا أو آجلًا

آثرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بالأجل في قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾؛ لدلالته على أكثر من معنًى؛ فإمّا أن يكون المرادُ أجلَ حياتهم أو أجلَ إهلاكهم في الدّنيا أو عذابهم يوم القيامة، فعلى الأوّل يكونُ العذابُ ما يَلقى في قبرِه وما بَعدَهُ، وعلى الثّاني: قَتلُهم بالسَّيف يومَ بدرٍ، وعلى الثّالث هو عذابُ جهنَّمَ[1].

دلالة الواو في قوله ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾:

إنْ تأخّرَ الإهلاك فلا يعجّلُه شيءٌ قبل أنْ يَحِلَّ مَوعِدُهُ

عطفَتِ الواو قوله ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ على ﴿كَلِمَةٌ﴾ في قوله ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾، فصار المعنى: ولولا كلمةٌ سبقَت مِن ربّك وأجل مُسمًّى لكان لزامًا؛ أي: إنّ الأجلَ المُسمَّى وقَعَ في حيِّز الوجود الّذي منعَ الهلاكَ اللّازمَ، فالأجلُ المُسمّى شرطٌ آخرُ لِمنع الهلاك.

ويجوز أن يعطفَ قولَه: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ على الضّمير المُستَكِنِّ في ﴿لَكَانَ﴾؛ أي: لكان الأخذُ العاجلُ وأجلٌ مُسمًّى لازمَين له، كما كانا لازمَين لعادٍ وثمودَ، ولم ينفَرِدِ الأجلُ المُسمَّى دون الأخذ العاجل[2].

نكتة التّنكير في قوله: ﴿لِزَامًا﴾ و﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾:

التّعظيم والتّهويل لكسر غرور الكفّار

جاءت كلمة ﴿لِزَامًا﴾ و﴿وَأَجَلٌ﴾ في الآية: ﴿لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ منكَّرَتين دلالةً على التّعظيم، ولتهويل اللُّزوم والأجل، فهو هلاكٌ لِزامٌ أيَّ لزوم؛ إنّه لُزومٌ شديدٌ ضروريٌّ لا ينفَكُّ، وله أجَلٌ أيَّ أجَلٍ؛ إنّ أجَلَه إذا جاء لا يُؤخَّرُ مهما كان.

فكان التّنكيرُ ليتّسعَ التّفكيرُ في تصوّر ذلك اللّزوم وأجل الحلول، فيبطل بذلك غرور الكفّار، وليرعووا عن صَدِّهم وتعدّيهم.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 15/ 164.
(2) الطّيبيّ، حاشية الطّيبيّ على الكشّاف: 10/ 270.

دلالة التّعبير بـ ﴿مُّسَمًّى﴾ مادّةً وصيغةً:

الأجل أمرٌ مُحَدَّدٌ أزلًا فلا يتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ

وَصفَتِ الآيةُ الكريمةُ الأجلَ بأنّه ﴿مُّسَمًّى﴾، وتحمِلُ هذه الكلمةُ دلالاتٍ باعتبار مادّتها وباعتبار صيغتها، فأمّا عن دلالة مادّة ﴿مُّسَمًّى﴾ فإنّ التّسمية تدُلُّ على التّحديد والتّمييز، فهو مَوعِدٌ مُحدَّدٌ مُتميِّزٌ من غيره، وتحديده يعني عدمَ تأخيره أو تقديمه[1].

وممّا يُذكَرُ في سرِّ التّعبير بقوله: ﴿مُّسَمًّى﴾ الدّلالةُ على تسمية الله تعالى لأعمارهم أو لعذابهم في أمّ الكتاب؛ فقد جعل ذلك وقتًا مُسمًّى عنده في أمِّ الكتاب وخطَّه فيه؛ فهم بالِغوه ومُستوفوه[2].

وأمّا عن صيغة ﴿مُّسَمًّى﴾ فقد جاء اسمًا بدل الفعل للدّلالة على الثّبوت، فلم يحدّدِ الأجلَ بعد أن حَلّ الهلاك، ولكنّه مُحَدَّدٌ ثابتٌ أزلًا، وهو ما يدُلُّ على السّبق أيضًا.

نكتة التّقديم والتّأخير في ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾:

تعجيلٌ بذكر جواب الشّرط ورعيٌ لفواصل الآي

جاءَت عبارةُ ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ متأخِّرةً عن عبارة ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾، والأصل تقدُّمُها؛ أي: ولولا كلمةٌ سبقَت مِن ربّك وأجلٌ مُسمًّى لكان لِزامًا[3]، ونكتة التّقديم والتّأخير هنا هي التّعجيل بذكر الجواب - وهو لزوم الهلاك - ، حتّى يكُفَّ المغرور عن غروره، ثمَّ ثنّى بعدها بالأجل المسمّى رعيًا لفواصل الآي[4].

ومن أسباب تقديم الجواب أيضًا: الاهتمام به والإلفات إليه[5].

دلالة الفصل بين أسلوب الشّرط:

الإمهال مُستفادٌ من كلِّ شرطٍ على حدة

فُصِلَ بين جملة الشّرط ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وبين قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ بجواب الشّرط ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾، ولهذا الفصل بلاغته.

(1) الجرجانيّ، درج الدّرر: 2/ 298.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 232.
(3) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 195.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 69، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 397.
(5) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 8/ 839.

فَمِن ذلك استقلال الشّرط الأوّل وهو ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ عنِ الشّرط الثّاني ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾، وأنّ كلَّ واحد منهما كافٍ وحدَه لِلزوم العذاب[1]، فالعذابُ لازمٌ لولا كلمةٌ سبقَت مِن ربّك، كما أنّ العذابَ لازمٌ لولا أنّه أُخِّرَ إلى أجلٍ مُسمًّى، وإذا كان كلٌّ مِنَ الشّرطين كافيًا وحدَه ليحصُل الإمهالُ، فكيف إذا اجتمعا[2].

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 42.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 366.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»